

مواعظ وذكرى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. في هذه الأمسية المباركة نتذكرة فيما بيننا بعض الموعظ التي يذكر الله تعالى بها عباده؛ حتى يعتبروا وحتى يعملوا عملا صالحا. فنتذكرة بدء خلق الإنسان وإعادته، ونتذكرة ما يكون في البرزخ من عذاب، أو نعيم، ونتذكرة ما يكون في الموقف العظيم من الأهوال والأفراح، ونتذكرة ما يكون بعد ذلك من عذاب أليم، أو نعيم مقيم، وكذلك أيضا ننظر في النتيجة عاقبة هذا الذكر وهذا التذكرة. فأولاً: إن الله تعالى أمر بالذكير؛ لينتفع به أهل الخير فقال الله تعالى: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } الذكرى؛ يعني التذكير الذي هو الموعظة والتذكير بما يكون في الدار الآخرة وما يكون في الدنيا فإنها تنفع المؤمنين، وغير المؤمنين هم الذين لا يتذكرون؛ بل ينفرون من الذكرى الذين ذمهم الله تعالى بقوله: { إِنَّ عَجَبَتْ وَيَسَرُونَ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ } أخبر الله تعالى بأن أهل الذكرى هم أهل الإيمان الذين يتذكرون إذا ذكروا، ويتعطشون إذا وعظوا، وأخبر بأن غيرهم هم الذين لا يتذكرون ولا يقبلون الموعظة؛ بل يهربون منها وينفرن منها قال الله تعالى قال عنهم سبحانه وتعالى: { كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ } أي من شاء تذكر ومعنى ذلك أن من شاء لم يتذكر فإنه محروم ويقول الله تعالى: { فَمَا لَهُمْ عَنَ الْتَّذْكِرَةِ مُغَرِّضِينَ كَاتِبُهُمْ حُمُرٌ مُسْتَقْرِئُهُ } أي كأنهم الحمر الحمير التي تنفر إذا رأت الأسد، أو رأت من يرمي. لا شك أن هذه صفة ذميمة، وإذا عرفنا أنها مأمورون بأن نذكر وأننا مأمورون بأن نتذكرة فإننا نحرص على أن نعرف الشيء الذي نتذكرة به، والذي يكون ذكرى للمؤمنين، والذي يكون موعظة لأهل الإيمان الصحيح؛ فنقول: أولاً نتذكرة بدء خلق الإنسان دائماً يذكر الله تعالى الإنسان بمبدأ خلقه وبذكريه بأول أمره فيقول الله سبحانه وتعالى: { إِنَّمَا يَكُونُ نُطْفَةً مِنْ مَنِّي يُمْكِنُ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الرَّوْحَيْنِ الدَّكَرَ وَالْأَنْتَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى } فيذكرة الله تعالى الإنسان الذي عصى وعنى فيقول له: تذكر مبدأ أمرك أليس أولك نطفة مذرة؟! أليس كنت في صلب أبيك نطفة من مني يمني؟! أليس قد كونك الله تعالى؟! لما أن قذف بك في رحم والدتك فكنت في أول الأمر نطفة، ثم خلق الله تعالى نطفة علقة. والعلاقة: هي القطعة من اللحم الأسود القطعة السوداء من دم، أو نحوه، ثم جعل الله تعالى تلك العلقة مضافة؛ أي لحما صغير قدر ما يمضغه الماضغ، ثم صور تلك المضافة عظاماً، كونها بقدرته وإرادته عظاماً، ثم بعد ذلك يقول: ثمكسونا العظام لحما. هكذا أخبر سبحانه . فبعد ذلك أخرج الله تعالى الإنسان من ذلك المكان الضيق، آخرجه إلى هذه الدنيا، ولما أخرجه حن عليه قلب والدته؛ حن عليه قلب الأم التي هي في قلبه له رحمة فعطفت عليه، وفتح الله تعالى له بابين من الرزق وهما الثديان يمتضي ذلك اللبن الذي يكون غذاؤه، ألم الله الطفل ساعة يولد أن يمتص، الامتصاص إلهام الله من الله؛ يعني علمه الله تعالى وألهمه أن في امتصاصه ما يكون سبباً في غذائه فهكذا ألهمه الله إلى أن استغنى بهذا وشب وترعرع. بعد ذلك يسر الله له ما يتغذى به فيسر الله له الأرزاق والأغذية، فجعل له نوعين من الطعام ونوعين من الشراب، فجعل له من الطعام نوعين: اللحم وسائل الأطعمة يتغذى باللحوم ويتجذر في الأطعمة، وكذلك من الشراب: الألبان وسائل المياه التي يشرب منها. هكذا تغذى إلى أن شب وترعرع وأصبح يتقلب في أموره سوية قوية، كما قال تعالى: { أَكَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا } ونتذكرة أيضاً، أو نذكر أن ربنا سبحانه وتعالى لما أخرج الإنسان إلى هذه الدنيا أعطاه ما يتتفق به: فأعطاه السمع والبصر والفؤاد واللسان والقوة قال الله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَسَيِّئَةً } : يعني أخرجكم في حالة ضعف عندما خرج الإنسان وهو ضعيف ليس به قدرة على أن يغني نفسه، ولا أن يتقلب في أموره، ثم جعل بعد ذلك الصعب قوة؛ أي نشاطاً وهو في حالة شبابه، وفي حالة قوته في وسط عمره، ثم في آخر عمره يرد إلى أرذل العمر؛ فيكون يتقلب بعد أن كان قوياً يكون ضعيفاً، وبعد أن كان شاباً ينقلب شيخاً ضعيفاً البنية وضعيف التركيب. هذا التقلب وهذا الانتقال يذكره أن ربه الذي خلقه هو الذي أنعم عليه. فيتذكرة أيضاً أن ربه سبحانه أعطاه النعم، يسر له ما يتقوت به وما يتغذى به وما ينمو به جسده إلى أن يتم نموه، وإلى أن يتکامل شبابه وتتكامل قوته، ثم تتکامل كهولته إلى أن ينتهي إلى آخر عمره، كما في قول الله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ يُرْجُكُمْ طِفْلًا } : أي أطفالاً من أرحام الأمهات طفلاً؛ يعني صغيراً { ثُمَّ لَيَتَّلُّوْا أَسْدَكُمْ } : يعني قوتكم { ثُمَّ لَيَكُونُوا شُيُوخًا } : أي كبار الأسنان { وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلُ } لا شك أن هذا تذكرة من ربنا سبحانه وتعالى لعباده كيف يتذكرون وكيف يعرفون ما أعطاهم الله سبحانه وتعالى؟!